النفس ورزقه الله الاخلاص حتى رأى مقامه عند الله تعالى دون خلقه ولم اجوله دايما مواحوا في
المريدين بل غالبهم يكاد يميز من الغيظ ويموت عوض من انكر عليه واستغنى عليه وذلك من اكبر
الريا والنفاق ومن كلام سيدي احمد بن الرفاعي رضي الله عنه ما وقف احد مع الخلق وراعاهم دون
الله الا سقط من عين رعاية الله عز وجل وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول اياك ان تتكدر ممن
انكر عليك ما لم تقع فيه فانه انما نصحك حسب علمه واياك ان تقول له قل هو المعنوي فاني لست
محتاج الي وعظ مثلك فان ذلك جهل قال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فافهم وما اضحك
احد تني وهو يعلم انك بري منه ابو الحل هناك انه سمع الناس يلوثون بك في ذلك الامر فنصحك
شفقة عليك ان كنت وقعت فيه او فتحه في عينك حتى تاخذ حذرك منه او تتوب ان قدر عليك
وانت مستتنع له عن حسن ظني به فقد نصحك جهده وان كنت انت على خلاف ذلك واعلم يا اخي ان كل من
يخلص لله احب كل من يبين له عيبه وموجه خوفا ان يكتب في جملة الايمة المضلين للناس لا خوفا
على مقامه ان يهتضم ولكن من الادب ان يبين الانسان لاخيه نقصه وعيبه بينه وبينه لا في
الملا لا سيما ان كان له اتباع فانهم ربما ازدروا شيخهم فعدموا النفع به كما انه من الواجب عليه
هو اذا اتعوج في امر واجتهاده ونبه عليه جماعة ثم ظهر له عوجه ان ينادي فيهم الا اني
كنت خرجت عن الشريعة في الامر الفلاني وقد رجعت عنه فارجعوا وقد كان ابو عثمان المكي
يعتقد شيا من الجهة فلما تاب نادي في اصحابه قد اسلمت اسلاما جيدا فرجع اصحابه كلهم
عن ذلك وكان سفيان الثوري يقول لاصحابه اياكم ان تعتقدوا في فاني رجل محبط وقد
نقل عن الامام الشافعي رضي الله عنه انه قال ليس في حل من نسب الي شي من التقديم انتهى وهذا
كله من الورع واعلم يا اخي ان هذا الذي قررناه من محبة العلما المنكرين علينا وتعظيمهم
وتبجيلهم خلق غريب قليل من يعمل نفسه عليه بل غالب الناس ينفر ممن ينكر عليه ولو يعرف
وهو نقص وجهل وحمق واما قول سفيان الثوري والفضيل بن عياض وذي النون المصري
اياكم والقرب من القرا فانهم ان احبوكم مدحوكم بما ليس فيكم فغشوكم في دينكم واهلكوكم بالعجب
وان بغضوكم نقصوكم بما ليس فيكم وقبل ذلك منهم فهو محمول على من كان مشهده غير ما ذكرناه
من باب وجزا سيئة سيئة مثلها فانه محمول على الضعيف الذي لا يحتمل كلاما قيل فيه واتسع
بحلم الله تعالى فيه ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح عند كثير من العلما والحمد لله رب العالمين
ومما انعم الله تعالى به علي مبادرتي للشكر لله تعالى اذا نقصني منقص عند احد من الاكابر كالشكر
لله تعالى اذا كبرني ومدحني عنده على حد سوا وذلك لان من شرط العاقل ان يدور مع رضي
الحق تعالى بحكم التسليم والتفويض لا مع نفسه بحكم الاجتهاد ولما طلعت للوزير علي الباشا بمصر
واجلسني بجانبه على كرسي وغار الحسده من ذلك وكتبوا في قصصا ورموها في الديوان
وبلغني ذلك بادرت الى الشكر ولم ار ان تاكر في مشاهدة الله الذي سخر لي مع الوزير ومن علم
من سيده انه يحبه ويعظمه ويكرمه ولا يسمع من بعض الاعدا من عبيده فيه فكلامهم عنده
هبا منثورا بخلاف من كان محجوبا عن هذا المشهد ولا يرى الا ذلك العبد فانه يتاثر من زوره
ومن تامل وجد حر اقبال الامرا عليه اشد من حر ادبارهم عنه لان الولاة لم يزل الواجب ازدياد
من الظلم والجور بحكم الوعد السابق من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا بلغهم ان الباشاه او
الدفتردار صبر ولا على فلان او سامحوه لانه مظلوم فلا يسع ذلك الفقير اذا لم يستطع ذلك
المتشفع الا ان يشفع ولا يمكن ان الباشاه والدفتردار يقبلان شفاعته في كلما يشفع عندهم

فيه

فيه غالبا لان من وظيفتهم التشديد في تحصيل ما يسمونه مال السلطان لا في تضييعه فيصير الفقير
والامير في عنا وتعب واخر الامر ينكر الامير على الفقير ويحل اعتقاده فيه كما وقع ذلك لجماعة من اهل عصرنا
من العلما والصالحين فاذن المنقص لك يا اخي عند الامير اقل تعبا لك ممن يكبرك عنده وكلاهما محسن اليك
بما فعل ومن ذاق هذا الامر قل غضبه ممن ينقصه عند الاكابر كما سياتي بسطه في مواضع من هذا الكتاب
والحمد لله رب العالمين ومما من الله به تعالى به علي كثرة محبتي لمن نفر ابنا الدنيا عني وعن حججي عندهم
من عباد ومباشرين وامرا وكشاف ومشايخ عرب وغيرهم وذلك لاني بحمد الله تعالى لا احب احدا
منهم لدنياه بل ولا يخطر على بالي انه يعطيني شيا ولو انه اعطاني ما قبلته فانا غني عن دنياه
وليس معه علم ولا ادب استفيده ولا هم يقصدون بصحبتي تعليم علم ولا ادب مني انما مجالستي
مجالس غفلة وسهو وخوض في امور الدنيا لا غير فصحبتهم الى الضرر اقرب والله ثم والله ثم والله
اني لاجد في قلبي المحبة والود لمن ينفر مثل هو لا عني اكثر ممن يرغبهم فاني في النصف الثاني من القرن
العاشر ابي العجايب والغرايب والفتن وقد فتشنا غالب الاصحاب اليوم فوجدنا الحامل لهم على
صحبتنا انما هي علل دنيوية ومعلوم عند كل عاقل ان صحبة مثل هولا من نقص العقل ولا يتكدر من تنفير
مثل هولا الا من كان غافلا عن الله والدار الاخرة فان من نفر مثل ذلك هولا عنه فقد اعتقه
من دخوله في حقوق الصحبة التي لا يطيق احد القيام بها من غالب اهل هذا الزمان فان
من حقوق الصحبة ان الصاحب يشارك صاحبه في امواله وثيابه وطعامه وشرابه ولا يمنع
عنه شي من ذلك وهذا عسر على امثالنا فمن عقل العاقل ان يشكر من فضل الذي نفر عنه ابنا الدنيا
على انه لا يبغوا عنا بكلام الحسد والاكاذيب في محبتنا غير صادق في محبتنا فان المحب الصادق
لا يصرفه صارف ولا ترده السيوف والمتالف فعلم ان كل من يتكدر ممن نفر عنه ابنا الدنيا في هذا
الزمان فهو جاهل بما ينفعه ويضره واصل ذلك انه يصحبهم لاعراض دنيوية ولو انه كان يصحبهم
للاخرة ما تكدر ممن نفرهم عنه ووالله ثم والله ثم والله اني لا احب الصاحب الذي لا يهدي الي هدية
ولا يمدحني في المجالس ولا اطلب احد الصحبتي اكثر ممن كان بالضد من ذلك بل يضيق صدري من كل
صاحب اهدي الي شيا لانه احوجني الى مكافاته وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول من علامة
الفقير المرائي محبته من رغب الناس في صحبته وبغض من ينفرهم عنه والحمد لله رب العالمين
ومما انعم الله تعالى به علي كثرة تحملي لهموم الاخوان وهو ذلي من هذا بابهم لكثرة ما عندي من الشفقة
والرحمة على جميع هذه الامة المحمدية لاني اذا كنت احمل هموم من غير هو به فكيف حالي اذا قبلت
منهم هدية فربما الاد اذوب واصير كالذي شرب رطلا من السم وكثيرا ما يصيب احدا
ممن يهدي الي سو فيدخل علي من الكرب والضيق ما لا يعلمه الا الله واصير كاني هو وربما اشارك
هو وحمته عز نفسا في وقت واحد وكتبوا ما احسن بحسي على النار وللحقني الحمى من فرقي
لعدمي فلا استطيع ان اجلس على الارض وانما اضطجع حتى يزول ذلك الكرب عن ذلك الاخ
وفي المثل السائر من اكل الغفارة يرد الغاره وقد رايت في واقعة لما نزل باهل مصر التفتيش
في رزقهم وتوقف غالب خراجهم وذلك في سنة ثمان وخمسين وتسعمايه انني راكب على
حصان ادهم مثل الفيل العظيم وبين يدي على ظهر ذلك الحصان ايضا ثلاثة جمال كل جمل
كاكبر ما يكون من الجمال فبينما انا راكب كذلك اذ رايت الجبل المقطم انفلق ثلاث فلقات
فطارت فلقة منها حتى نزلت على كتفي الايمن ثم ان مصر انقسمت ثلاث فرق فطارت فلقة
وهي ثلث البلد حتى نزلت على ظهري هذا والحصان تحتي حامل هذه الاثقال العظيمه وهو

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1